

دمية القصر

لربّ بدورٍ عَجَزَتْ بِدِيارِ جِرِّ ... وربّ خُدُورٍ هُتِّكتْ خَفَرَاتُهَا .
فمن فَتَنَاتٍ نُطِقتْ بِذَوَائِبِ ... ومن فِتيةٍ مَسَّ الثَّرى وَفَرَاتُهَا .
ومن أَعْيُنٍ غُمَضَتْ وَكَانَتْ عَلِيَّةً ... تُشَاوِسُ الْحَاظَ الدُّجَى نِظَرَاتُهَا .
ومنها : .

أَسَاغَتْ بِطُونٍ الْأَرْضَ سَوْدَ أُسُودِهَا ... وَلَقَدْ لُفِطَتْ فَوْقَ الثَّرى حَشَرَاتُهَا .
فَكُنْ لِلْمَعَالِي يَا أَبَاهَا بِعِيدَهُ ... حُسَامًا تَجِدُ عَنْكَ الْعِدَا وَتَرَاتُهَا .
وما لِلْمَنَايَا عَنْ عِدَىٍّ وَأَقَارِبِ ... مَرَاحُ إِذَا عَادَ الْوَرَى سَكْرَاتُهَا .
عِزَاءً عَلَى الدُّنْيَا وَصَبْرًا عَلَى الرَّدَى ... إِذَا مَا دَوَّاعِيهِ عَلَّتْ نُعَرَاتُهَا .
تَنَكَّرَتْ الْأَيَّامُ لَا بَلَّ تَنَكَّسَتْ ... فَقَدْ شَابَهَتْ آصَالَهَا بُكَرَاتُهَا .
أَلَا فَلِيرْثَ نَجْلُ الْإِمَامِ وَصِنُوهُ ... بَقَايَا عُلَا تَحْوِي بِهَا أَثَرَاتُهَا .
وما بَعْدُ عَبْدٍ إِلَّا لِنَجْلِهِ ... وَسَائِدُهُ فَلَتَحْوِهِ فَعَرَاتُهَا .
إِذَا مَا خَلَا الْمِيدَانُ عَنْ قُورَحِ الْوَعَى ... أُقِيمَتْ عَلَى مِضْمَارِهَا مُهَرَّاتُهَا .
ومما أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ قَوْلَهُ مِنْ فَخْرِيَّةٍ : .

يَا لَلْوَزَارَةِ مَا لِي لَا أَغْضُ بِهَا ... وَمَا لَهَا لَا تُعْلَى أَوْ تُشْرِفَ بِي .
وهذه مِبَالِغَةٌ حَسَنَةٌ وَمِنْ عَجِيبٍ مَا سَنَحَ مِنْ فَخْرِيَّاتِهِ تَخْلُصُهُ مِنْ صِفَةِ الْبُرْغُوثِ وَالْبَقِّ إِلَى
نَوْعٍ مِنْ فَخْرِهِ الْمُسْتَحَقِّ فِي أُرْجُوزَةٍ لَهُ يَقُولُ فِيهَا : .

رَقْمُ الْبِرَاغِيثِ وَزَمْرُ الْبَقِّ ... فِي مُفْخَصٍ مُخَصَّصٍ بِالذَّرْقِ .
يَرْعَيْنَ بَيْنَ أَخْمَصِي وَالْفَرْقِ ... لِحِمَا جَرَتْ فِيهَا دِمَاءُ الْعِتْقِ .
ومِنْ فَخْرِيَّاتِهِ الْحَسَنَةِ قَوْلُهُ مِمَّا أَنشَدَنِيهِ لِنَفْسِهِ : .

لئن كَانَ حِطِّي مِنْكَ أَنِّي مُخَوَّلٌ ... لِحِطِّكَ أُثْنِي إِذْ تَجُودُ وَأُقْبِلُ .
فَقَدْ نَلْتَ مِنِّْي رُبَّةً لَا تُنَاوِلُهَا ... ذُكَاءُ تُعَاطِينِي السَّنَا فَأُطْلَلُ .
ومنها : .

مِشَتْ فِيَّ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي كَأَنَّهَا ... سُمُيُولُ حَرِيقٍ فِي الْإِبَاءِ تَغْلَغَلُ .
أَجُوعٌ وَأَظْمَأٌ عِفَّةً وَتَكَرُّمًا ... وَقَدْ ضَجَّ بِي وَادٍ وَغَطَّ غَطًا مَرَجَلُ .
مَكَارِمُ خَاطَتُهَا الْعُلَا بِجُلُودِنَا ... فَمَا هِيَ عَنْ أَبْشَارِنَا تَتَنَقَّلُ .
وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ غَرَلِيَّةٍ : .

مَا هِيَ إِلَّا لَطْخَةٌ الْغَالِيَةِ ... وَهِيَ لَعَمْرِي لَطْخَةٌ غَالِيَةٍ .

أُنْظِرْ إِلَيْهَا كَدُجِي مَسْكَةٍ ... فِي ضَوْءِ شَمْسِ الضَّحَاةِ الْعَالِيَةِ .

وَحَوْلَهَا مِنْ صُدْعِهِ عَنَبٌ ... كَالْعُذَرِ السَّوْدِ عَلَى الْغَالِيَةِ .

وَهِيَ عَلَى مَذْهَبِنَا قَبِيلَةٌ ... لِلْقَبِيلِ الْعَاطِرَةِ الْحَالِيَةِ .

فَبُورِكَتْ خَلْقَةُ تَضْمِيخِهِ ... لَمْ تَمُتْ هَذَا أُنْمَلُ الطَّالِيَةِ .

قَدْ خَاطَرَ الشَّوْقُ عَلَى بَالِيَةِ ... إِثْرَ رُسُومِ الصَّبَاةِ الْبَالِيَةِ .

وَشَوْقُ قَلْبِي بِجُنُونِ الْهَوَى ... نَشْوَانٌ لَا يَعْرِفُ مَا حَالِيَةِ .

وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ مِنْ غَزَلِيَةِ :

أَمِيرُ الْحُسْنِ لَا يَلَاوِي عَزِيمَتَهُ ... وَيَقْسِمُ فِي ضَرَائِرِهِ الْغَنِيمَةَ .

وَمَا ذَا ضَرَّهْ لَوْ أَنَّ لَامِي ... يُغْزَلُ فِي خِلَالِ الْمَشَقِّ مَيْمَتِهِ .

وَقَالَ وَشَاتُهُ : لَمْ تَحْطَ عَنْهُ ... وَقَدْ ثَقَّ بَتِ دَرَّتَهُ الْيَتِيمَتَهُ .

وَلَهُ أَيْضاً مِنْ حَادِثَةٍ فِي بَعْضِ الْغِلْمَانِ :

إِنَّ الْكَرَنَدِيَّ رُوشِنًا خُرَّهْ ... فِي غِلْمَةٍ وَجْهُهُ لَهْمُ غُرَّهْ .

فَخِيَّطُوا بِالْعُقَارِ مَقْلَتَهُ ... وَمَزَّ قُوا لَا وَثَقَّ بَوَا دَرَّهْ .

قلت : مَا أَحْسَنَ اسْتِدْرَاكِهِ اللَّفْظَةَ الْفَاحِشَةَ مَعَ جَمْعِهِ بَيْنَ ضَدِّي التَّخْيِيطِ وَالتَّمْزِيقِ !

وهذا من باب التوفيق للتلفيق . وكتب إلى القاضي أحمد بن منصور بن محمد الأزدي الهَرَوِي

يعاتبه وبينهما محاوراتٌ ومكاتبات :

الذَّئِبُ لِي لَا لِمَنْصُورٍ وَلِلْكَرْمِ ... أَنَا الْمَضَّيْعُ يَا ذَيْبَ الْعُلا كَلَامِي .

نَاسَمْتُهُ فَتَلَقَّ تَنْنِي سَمَائُمُهُ ... لَيْتَ الْجَفَاءُ كَفَاءُ مِنْهُ لِلذَّيْعَمِ .

وله في غلامٍ أورد الماءَ مُهْرًا .

وَطَبِيٍّ أوردَ الْمَاءَ ... غَزَالًا حَالِيَ الذَّحَرِ .

فَأَبْصَرْتُ غَزَالِينَ ... مَرُحِينَ إِلَى النَّهْرِ